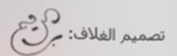


من أقوال ابن القيم

في تطوير الذات







للتواصل مع الكاتب:

مدوّنة حيث التفاؤل والطموح حمزة البلوشي

شكر خاص لمصمّمةِ الغلاف:



معرض عبقري العلوم

الفهرس

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه وبعد:

حينما يُطلق مصطلح (تطوير الذات)؛ تذهب مُخَيِّلة أغلب من يقرأ أو يسمع؛ نحوَ تطوير الذات المتعلق بالأهداف الدنيوية من الدراسة والعمل وما شابهَهُما، هذا في الغالب.

ولكِنْ في الحقيقة إنَّ تطوير الذات يكون في كل شيء يتعلق بالإنسان فيما يخص أهدافه الدنيوية أو الأخروية. ولا شَكَّ أنَّ الهدفَ الأسمى للمسلم هو رضى اللهِ ودخولُ الجنة، وليس بعد هذا الهَدفِ هدفٌ.

والإنسان بطبيعته يميل إلى النسيان؛ فهو دائم الخروج عن أهدافه الرئيسية، وما ذلك إلى لكثرة الشواغل والصوارف؛ ولهذا فإنَّ إرجاعه إلى الأهداف الرئيسية أمر مُهم.

ومن أفضل الأساليب لتذكيره وإرجاعه إلى أهدافه الرئيسية: مخاطبة عقله وعاطفته بالكلمات الإيجابية التي سرعان ما يتأثر بها؛ فيعود إلى طريقه الذي يحقق له هدفه من خلاله. ولهذا فقد اهتم أهل (تطوير الذات) بالكلمات الإيجابية المختصرة التي لها مفعول الداوء في الأبدان.

ولتحقيق هذا المقصد المهم؛ فقد هَمَمْتُ منذ زَمَنٍ غير بعيد بجمع شيءٍ مِن أقوال الإمام ابن القيم - رحمه الله -، وخصوصاً تلك التي لها علاقة بتطوير الذات (دينياً)، ومقاومة شهوات النفس ورغباتها؛ حيث إنّ له - رحمه الله - أقوالاً تسطر بماء الذهب؛ تعطي للواحد طاقة وتحفيزاً وتجديداً للنشاط في العبادة وإصلاح أحوال النفس، وعلاقة الواحد بينه وبين ربه، وبين الناس!

فالكلام الطيبُ وقُود للنفس لأداء المزيد مِنَ العمل، ومتى أحسّ الشخص بنوع مِنَ الضّعف في جانب التحفيز نحو العمل الديني أو

الدنيوي؛ فإنَّ عليه الاستزادة من الأقوال التحفيزية؛ تماماً كالاستزادة من الطعام حين الإحساس بالجوع !

ومِنْ ضِمن الأسبابِ التي دعتني لجمع كلام ابن القيم في هذا الجانب؛ هو توجه المدربين والمطورين الإداريين لأقوال علماءِ الغرب، دون محاولة منهم للأخذ مِن علماء المسلمين الذين لديهم كمٌّ كبير مِنَ تلكم الأقوال التحفيزية. بل وقبل ذلك الأخذ من كتاب الله - سبحانه - وأحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - وأقوال الصحابة - رضي الله عنهم -.

هذا وقد قمتُ بجمع هذه الأقوال مِن بعض المواقع وبعض كتب الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -، وقمتُ بتبويبها ليسهل الاستفادة منها، ولم أحبِّذ الإشارة إلى مصادر الأقوال؛ لئلا يطول الكتيب بالمصادر والصفحات !

وإني لآملُ أن أكون سبباً ليجمع أحد المطَّلعين على هذا الكتيب تلكم الكلمات التحفيزية من كتب ابن قيم الجوزية وغيره من العلماء؛ فهو جهد كبير، وعملٌ مثمر.

والحمد لله أولاً وآخراً ..

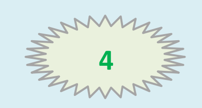
وكتب:

حمزة البلوشي

مدينة أبوظبي

يوم الخميس 2012/7/5م

وكانت المراجعة النهائية في غرة رمضان 1433هـ بمدينة العين



من أقواله في التعامل مع الله تعالى:

«مَن عرف ربه؛ اشتغل بِه عَن هوى نفسِه».

«كفى بك عزّاً أنك له عبدٌ؛ وكفى بك فخراً أنهُ لك ربٌّ».

«الرّبُّ تعالى يدعو عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين؛ أحدهما: النظر في مفعولاته. والثاني: التفكر في آياته وتدبرها؛ فتلك آياته المشهودة، وهذه آياته المسموعة المعقولة».

«مِنْ أعظم الظلم والجهل: أن تطلب التعظيم والتوقير لك من الناس؛ وقلبك خالٍ من تعظيم الله وتوقيره، فإنَّك توقر المخلوق وتجلّه أن يراك في حال لا توقر الله أن يراك عليها؛ قال تعالى: [مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وقَاراً]».

«فكل مَن أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته؛ بُلِيَ بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته».

«إذا أمسى العبد وأصبح وليسَ همّهُ إلا الله وحده؛ تحمّل اللهُ سبحانه حوائجه كلّها، وحمل عنهُ كلّ ما أهمَّه».

«الجاهل يشكو اللهَ إلَى النَّاسِ ! وهذا غاية الجهل بالمشكُوِّ والمشكوِّ إليه؛ فإنَّه لو عرف ربه لما شكاه، ولو عرف الناس لما شكا إليهم».

«اللذة تابعة للمحبة؛ تقوى بقوتها وتضعف بضعفها، فكلما كانت الرغبة في المحبوب والشوق إليه أقوى؛ كانت اللذة بالوصول إليه أتمَّ».

«أُصدُق مع الله؛ فإذا صَدقْتَ عِشْتَ بين عطفه ولُطفه؛ فعطفهُ يَقيك ماتحذره، ولُطفه يُرضيك بما يقدّره».

«من أراد مِنَ العُمَّال أن يعرِفَ قدرهُ عند السلطان؛ فلينظر ماذا يُولِيهِ مِنَ العَمل، وبأيِّ شغل يُشغِلُه».

«اعلم أنَّ العبدَ إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه وهمته؛ لا ببدنه، والتقوى في الحقيقة تقوى القلوب؛ لا تقوى الجوارح !».

«للعبد سِترٌ بينه وبين الله، وسِترٌ بينه وبين الناس؛ فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس».

«ليس العجب من مملوك يتذلَّل لله، ولا يَمَلُّ خِدمَته (أي: عبادته) مع حاجته وفقره؛ فذلك هو الأصل؛ إنما العجب من مالك يتحبب إلى مملوكه بصنوف إنعامه، ويتودَّد إليه بأنواع إحسانه مع غِنَاهُ عنه».

«ليس العجب من فقير مسكين يحب مُحسنا إليه، إنما العجب من مُحسن يحب فقيرا مسكينا».

«قالَ الله تَعالى: [فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ]؛ وحقِيقةُ الفِرَارِ: الهَربُ مِنْ شَيء إِلى شيْءٍ، وَهُو نَوْعانِ: فِرَارُ السُّعَدَاءِ، وَفِرَارُ الأَشْقِياءِ؛ فَفرارُ السُّعَدَاءِ: الْفِرَار إِلى اللَّه - عَزَّ وَجَلَّ -، وَفِرَارُ الْأَشْقِيَاءِ: الْفِرَارُ مِنْهُ لَا إِلَيْهِ».

«للعبد ربٌّ هو ملاقيه، وبيت هو ساكنه؛ فينبغي له أن يسترضي ربه قبل لقائه، ويعمر بيته قبل انتقاله إليه».

«إذا عَلِقَت شروش (أي: جُذور) المعرفة في أرض القلب، نبتت فيه شجرة المحبة، فإذا تمكنت وقويت؛ أثمرت الطاعة؛ فلا تزال الشجرة [تؤتي أُكُلَهَا كُلَّ حِين بإذن ربها]».

«المخلوق إذا خِفتَهُ استوحشتَ مِنهُ وهربت منه، والربُّ - تعالى - إذا خفته أَنَسْتَ بِه، وقَرُبتَ إليه».

«في القلب شَعْثٌ لا يُلِمُّهُ إلا الإقبال على الله، وفيه وَحشة لا يُزيلُها إلا الأُنْسُ بالله، وفيه حُزْن لا يُذهِبه إلا السُّرور بمعرفة الله».

«مَنْ عرفَ اللهَ اشتاق إليه، وإذا كانَتِ المعرفةُ لا نِهايَة لها؛ فشوقُ العَارِفِ لا نهايَةَ لَهُ».

من أقواله في إصلاح النفس:

«أفرض الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا؛ ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنا».

«من عرف نفسه؛ اشتَغَلَ بإصلاحها عن عيوب الناس».

«طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس؛ وويل لمن نَسِيَ عيبه وتفرغ لعيوب الناس؛ فالأول علامة السعادة، والثاني علامة الشقاوة».

«أوثق غضبك بسلسلة الحلم؛ فإنه كلب إن أفلَتَ أتلَفَ».

«أرضُ الفطرة رَحْبَة قابلة لما يُغرَسُ فيها؛ فإن غُرِسَتْ شجرة الإيمان والتَّقوى؛ أورَثَتْ حَلاوَة الأَبَدِ، وإن غُرِسَت شَجَرةُ الجهل والهوى؛ فكل الثمر مُرٌّ!».

من أقواله في الابتلاء والصبر:

«من خلقه الله للجنة لم تزل هداياها تأتيه من المكاره، ومن خلقه للنار لم تزل هداياها تأتيه من الشهوات».

«من لاح له كمال الآخرة؛ هان عليه فراق الدنيا».

«ليس دوماً يبتلى الإنسان ليُعَذَّب؛ وإنما قد يبتلى ليهذَّب».

«من تلمَّح حلاوةَ العافيةِ؛ هانَتْ عليهِ مرارَةُ الصَّبرِ».

«لما طلبَ آدمُ الخلودَ في الجنة مِن جانب الشجرة؛ عوقِب بالخروج منها، ولما طلبَ يوسفُ الخروج مِنَ السجن مِنْ جهة صاحب الرؤيا؛ لبث فيه بضع سنين».

«فرِح إبليس بنزول آدم مِنَ الجنة؛ وما عَلِمَ أنَّ هبوط الغائص في اللُّجَّةِ خلف الدُرِّ صعودٌ».

«لو كشف اللهُ الغطاء لعبده، وأظهر لَهُ كيف يُدبر الله له أموره، وأنّه أرحم به مِنْ أُمِّهِ؛ لذاب قلب العبد محبة لله، ولتقطَّع قلبه شكراً !».

من أقواله في إصلاح القلوب:

«كما أنَّ البدن إذا مَرِضَ لم ينفع فيه الطعام والشراب؛ فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ».

«قسوة القلب مِنْ أربعة أشياء إذا جاوَزَتْ قدرَ الحاجة: الأكل، والنوم، والكلام، والمخالطة».

«القلب يمرض كما يمرض البدن؛ وشفاؤه في التوبة والحمية، ويصدأ كما تصدأ المِرآةُ؛ وجلاؤُه الذِّكْرُ، ويعرى كما يعرى الجسم؛ وزينته التقوى، ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن؛ وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة والخدمة».

«والقلب المعلَّق بالشهوات لا يَصِحُّ له زهدٌ ولا وَرَعٌ».

«للقلب ستةُ مواطِنَ يجول فيها لا سابع لها: ثلاثة سافلة، وثلاثة عالية: فالسافلة دُنيا تتزين له، ونفس تحدثه، وعدوٌ يوسوس له؛ فهذه مواطن الأرواح السافلة التي لا تزال تجول فيها. والثلاثة العالية علم يتبين له، وعقل يرشده، وإله يعبده، والقلوب جوالة في هذه المواطن».

«ما ضُرِبَ عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب».

«شغلوا قلوبهم بالدنيا، ولو شغلوها بالله والدار الآخرة؛ لجالت في معاني كلامه وآياته المشهودة، ورجعت إلى أصحابها بغرائب الحكم وطرائف الفوائد».

«من أراد صفاء قلبه؛ فليؤثِرِ الله على شهوته».

«خراب القلب مِنَ الأمن والغفلة، وعمارته مِنَ الخشية والذِّكر».

«العجب مِمَّن تَعرِضُ له حاجة؛ فيصرف رغبته وهمته فيها إلى الله ليقضيها له؛ ولا يتصدى للسؤال لحياة قلبه مِنْ موت الجهل والإعراض، وشفائِه مِنْ داء الشهوات والشبهات! ولكِنْ إذا مات القلبُ؛ لم يشعر بمعصيته».

«إذا غذي القلب بالتذكُّر، وسقي بالتفكُّر، ونقِّي من الدغل (أي: الفساد) رآى العجائب وأُلهِمَ الحكمة».

«لا يجتمعُ الإخلاصُ في القلب؛ ومحبةُ المدحِ والثَّناءِ».



من أقواله في الدعوة إلى فعل الطاعات:

«وَلَا يَـزَالُ الْعَبـدُ يُعَانِي الطَّاعَـةَ وَيَأْلَفُها، وَيُحِبُّها وَيُؤْثِـرُها؛ حَـتَّى يُرْسِـلَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِرَحْمَتِهِ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةَ تَؤُزُّهُ إِلَيها أَزّا، وَتُحَرِّضُهُ عَلَيها، وَتُزْعِجهُ عَنْ فِرَاشِهِ وَمَجْلِسِهِ إِلَيْهَا».

«مادمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومَنْ يقرعُ باب الملك يفتح له».

«إذا أشرق القلب بنور الطاعة، أقبلت سحائِبُ وُفودِ الخيرات إليه مِنْ كل ناحية؛ فينتقل صاحبه مِنْ طاعة إلى طاعة».

«للعبد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه؛ فمن قام بحق الموقف الأول هُوِّنَ عليه الموقف الآخر، ومَن استهان بهذا الموقف، ولم يوفِّه حقَّه شُدّد عليه ذلك المَوقف، قال تعالى: [وَمِنْ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً * إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً]».

«مَنْ شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا؛ فليستوطن مجالس الذكر؛ فإنها رياض الجنة».

«فإنَّ للصَّدَقة تأثيراً عجيباً في دفع أنواع البلاء ، ولو كانت مِن فاجر أو مِن ظالِم ، بل مِن كافر ! ، فإنَّ الله تعالى يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء ؛ وهذا أمرٌ معلوم عنْدَ الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مُقرُّون به لأنهم جرَّبوه».

«إن دُوْرَ الجنة تُبنى بالذكر؛ فإذا أمسك الذاكر عَنِ الذكر؛ أمسكت الملائكة عن البناء».

«مثال تولُّد الطاعة، ونموِّها، وتزايدها؛ كمثل نواة غرستها، فصارت شجرة، ثم أثمرت، فأكلتَ ثمرها، وغرستَ نواها؛ فكلما أثمر منها شيء جنيت ثمره، وغرست نواه، وكذلك تداعي المعاصي؛ فليتدبر اللبيب هذا المثال؛ فَمِنْ ثواب الحسنةِ الحسنةُ بعدها، ومِنْ عقوبة السيئةِ السيئةُ بعدها».

«ولا تستصعب مخالفة الناس، والتحيُّز إلى الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ولو كنتَ وحدكَ؛ فإن الله معكَ، وأنتَ بعينه وكلاءَتِهِ وحِفظهِ لك، وإنما امتَحِنْ يقينك وصبرك».

«التعب بالطاعة ممزوج بالحسن، مثمر للذة والراحة؛ فإذا ثقُلتْ على النفس؛ ففكر في انقطاع تعبها وبقاء حُسْنِها ولذَّتها وسرورها، ووزان بين الأمرين، وآثر الراجح على المرجوح».

«العمل بغير إخلاص ولا اقتداء؛ كالمسافر يملأ جِرابَه رَمْلاً يُثقِلُه ولا يَنفَعُه».

«تالله ما نفعه عند معصيته عِزُّ [اسجدوا ...]، ولا شرفُ [وعلّم آدمَ ...]، ولا خِصّيصَةُ [لِمَا خلقتُ بِيَدَيَّ ...]، ولا فَخرُ [ونفختُ فيه من روحي ...]؛ إنَّما انتفع بِذُلِّ [ربنا ظَلَمنَا أنفُسَنا ...]».

«وأحبُّ خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالاً؛ وهو يحب المُلِحِّين في الدعاء؛ وكلَّما ألحَّ العبد في السؤال أحبه وقربه وأعطاه».

«ولو أن رجلاً يعاني البيع والشراءَ؛ تفوته صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقة قيمتها سبعة وعشرون ديناراً؛ لأكل يديه ندماً وأسفاً؛ فكيف وكل ضعف مما تضاعف به صلاة الجماعة خير مِن ألفٍ وألفِ ألفٍ؛ وما شاء الله تعالى !».

«والإقبال على الله - تعالى -، والإنابة إليه والرضى عنه وبه، وامتلاء القلب مِنْ محبته، واللهج بذكره، والفرح والسرور بمعرفته: ثواب عاجل، وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه ألبتة !».

من أقواله في الدعوة إلى الهمة:

«أَلِفْتَ عَجْزَ العَادَةِ؛ فلَو عَلَتْ بِكَ همتُك رُبَا المعالي؛ لاحَت لك أنوار العزائم».

«إنما تفاوتَ القومُ بالهمم لا بالصور».

«كم جاء الثواب يسعى إليك؛ فَوَقَفَ بالباب؛ فَردَّهُ بَوَّابُ (سَوفَ)، و(لعلَّ)، و(عَسَى) !».

«أعظم الربح في الدنيا أن تشغل نفسك كل وقت بما هو أولى بها، وأنفع لها في معادها».

«اشتر نفسك اليوم؛ فإنَّ السوقَ قائمة، والثمن موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يومٌ لا تصل فيه إلى قليل ولا كثير [ذلك يومُ التغابن] [يومَ يعض الظالم على يديه]».

«اخرج بالعزم مِنْ هذا الفناء الضيق، المحشوّ بالآفات إلى الفناء الرحب، الذي فيه ما لا عين رأت؛ فهناك لا يتعذَّرُ مطلوب، ولا يفقد محبوب».

«لا بد مِنْ سِنَةِ الغفلة، ورُقاد الهوى، ولكِن كُنْ خفيفَ النوم».

«إضاعة الوقت أشد مِنَ الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها».

«وعلى قدر نِيَّةِ العبد وهمته ومراده ورغبته في ذلك يكون توفيقه سبحانه وإعانته؛ فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر هِمَمِهِمْ وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك».

«مَنْ لَم يَبُاشِر حَرَّ الهَجِيرِ في طِلَابِ المجد؛ لم يَقِلْ (مِنَ القيلولة) في ظلال الشرف !».

«قوة الطَّمَعِ في بلوغ الأَمَلِ؛ توجِبُ الاجتهاد في الطَّلبِ وشِدَّةَ الحَذَرِ مِن فَوتِ المأمول».

«مَنِ استَطَال الطريق ضَعُفَ مَشْيُهُ».



«إذا أظلم القلب بظلمة المعصيه، أقبلت سحائب البلاء والشر إليه مِنْ كل ناحية؛ فينتقل صاحبه مِنْ معصية إلى معصية؛ فيصبح كالأعمى الذي يتخبّط في حَنَادِسِ الظلام».

«وَلَا يَزَالُ (أي: العبدُ) يَأْلَفُ الْمَعَاصِيَ وَيُحِبُّهَا وَيُؤْثِرُهَا، حَتَّى يُرْسِلَ اللَّهُ إِلَيْهِ الشَّيَاطِينَ، فَتَؤُزُّهُ إِلَيْهَا أَزًّا».

«الذنوب جِراحَاتٌ، ورُبَّ جُرحٍ وَقَعَ فِي مَقتلٍ !».

«دافع الخطرة؛ فإنْ لم تفعل صارت شهوة وهِمَّة؛ فإن لم تدافعها صارت فعلاً؛ فإن لم تتداركه بضده صار عادة؛ فيصعب عليك الانتقال عنها».

«المعاصِي تَزْرَعُ أَمثالها، وَتُولِّدُ بَعْضها بَعْضاً، حَتَّى يَعِزَّ على العَبدِ مُفارقَتُها وَالْخروجُ مِنهَا، كما قال بَعضُ السَّلَفِ: إِنَّ مِنْ عُقُوبَةِ السَّيِّئَةِ السَّيِّئَةُ بَعْدَهَا، وَإِنَّ مِنْ ثَوابِ الحَسَنَةِ الحَسَنَةُ بَعْدَها».

«كيف يكون عاقلاً مَنْ باع الجنة بشهوة ساعة ؟».

«وجميع المعاصى يجتمع فيها هذان الوصفان؛ وهما: العدواة والبغضاء، والصَّدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، فإنَّ التَّحَابَّ والتآلُفَ إنما هو بالإيمان والعمل الصَّالِحِ، كما قال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا]».

«مَنْ عَظُم وقار الله في قلبه أن يعصيه - وقَّره الله في قلوبِ الخلقِ أنْ يُذِلُّوه».

«وَمِنْ أَعْظَمِ عُقُوباتِها (أي: المعاصي) أَنَّهَا تُوجِبُ القَطِيعَة بَيْنَ العَبدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعالَى، وَإِذَا وَقَعَتِ الْقَطِيعَةُ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَسْبَابُ الْخَيْرِ وَاتَّصَلَتْ بِهِ أَسْبَابُ الشَّرِّ».

«الصبر عن الشهوة أسهل مِنَ الصبر على ما توجبه الشهوة».

«قلّة التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونفرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربّه، ومنع

إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت، وطول الهم والغم، وضنك المعيشة، وكسف البال؛ تتولّد من المعصية والغفلة عن ذكر الله، كما يتولّد الزرع عن الماء، والإحراق عن النار. وأضداد هذه تتولّد عن الطاعة».

«اللذة المحرمة ممزوجة بالقبح حال تناولها، مثمرة للألم بعد انقضائها؛ فإذا اشتدت الداعية منها إليك؛ ففكر في انقطاعها وبقاء قبحها وألمها؛ ثم وازن بين الأمرين، وانظر ما بينهما من التفاوت».

«فمن ترك اللَّذَّة المُحرَّمة لله استوفاها يومَ القيامة أكملَ ما تكونُ، ومَنْ استوفاها ها هُنا حُرِمَها هناك؛ أو نقص كمالهَا؛ فلا يجعلُ الله لذَّةَ مَنْ أوضع في معاصيهِ ومحارمِهِ؛ كلذَّةِ مَنْ تَرَكَ شهوتَهُ للهِ أَبَداً !».

«السيئات والذنوب هي أمراض قلبية؛ كما أنَّ الحمى والأوجاع والأمراض بدنية، والمريض إذا عُوفِيَ مِنْ مرضه عافية تامّة؛ عادت إليه قوتُه وأفضُل منها؛ حتى كأنَّه لم يضعف قطُّ !».

«فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الشراب والطعام، فكما أنّ الطعام والشراب يقطعه ويفسده؛ فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته؛ فتصيره بمنزلة مَنْ لم يصم».

من أقواله في المال، واكتساب الرزق:

«يا مستفتحاً باب المعاش بغير إقليد التقوى! كيف توسع طريق الخطايا، وتشكو ضيق الرزق».

«المعاصي سَدٌّ في باب الكسب، (وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)».

«متى كان المال في يدك وليس في قلبك: لم يضرّك ولو كَثُرَ؛ ومتى كان في قلبك ضرّك؛ ولو لم يكن في يدك منه شيء».

«الكريمُ المتصدقُ يعطيهِ الله ما لا يعطي البخيل الممسك، ويوسع عليه في ذاته، وخلقه، ورزقه، ونفسه، وأسباب معيشته؛ جزاءً له من جنس عمله».

من أقواله في الدنيا، وحال العبد فيها:

«الدنيا مجاز والآخرة وطن؛ والأوطار- أي: الأماني والرغبات - إنما تُطلب في الأوطان».

«فَكُلُّ خارَجٍ مِنَ الدنيا؛ فإمَّا مُتَخَلِّصٌ من الحَبْسِ؛ وإمَّا ذاهِبٌ إلى الحبس!».

«ما مضى مِنَ الدنيا أحلام، وما بقي منها أماني؛ والوقت ضائع بينهما».

«يا مَن هُو مِن أرباب الخبرة ! هل عرفتَ قيمة نفسك؟ إنما خُلِقَتِ الأكوانُ كُلُّها لكَ».

«وقد جعل الله - سبحانه - رضى العبدِ بالدنيا، وطمأنينَتَهُ، وغفلته عن معرفة آياته وتدبرها، والعمل بها؛ سَبَبَ شقائِهِ وهلاكِهِ».

«كُن مِنْ أبناءِ الآخرة، ولا تَكُن مِنْ أبنَاءِ الدُّنيا؛ فإنَّ الوَلَدَ يَتْبَعُ الأُمَّ».

«لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا».

من أقواله في القرآن والعلم:

«إذا أردت الانتفاع بالقرآن؛ فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وأَلْقِ سمعك، واحْضُرْ حضور من يخاطبه من تكلّم به - سبحانه - منه إليه؛ فإنه خِطَابٌ منه لك على لسان رسوله».

«فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواءالقلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، ومن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله».

«كل ما كان في القرآن مِنْ مدح للعبد؛ فهو مِنْ ثمرة العلم؛ وكل ما كان فيه مِنْ ذم فهو مِنْ ثمرة الجهل».

«فأفضل ما اكتسبته النفوس، وحصَّلته القلوب، ونالَ العبد به الرِّفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والإيمان».

«لو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله - سبحانه - أحبار أهل الكتاب، ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم المنافقين».

«فشَرفُ العِلم؛ بِحَسَبِ شَرفِ معلومِه وشِدَّة الحاجة إليه، وليسَ ذلِكَ إلا العِلمُ باللهِ وتَوابِعُ ذَلِكَ».

«ولو لم يكن في العلم إلا القُرب من ربِّ العالمين، والالتحاق بعالم الملائكة؛ لكفى به شَرفاً وفضلاً، فكيف وعِزّ الدنيا والآخرة مَنُوطٍ به؛ مشروطٌ بحصوله».

«فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافياً، وإلى الإيمان وحقائقه منادياً، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعيا، وإلى طريق الرشاد هادياً».

من أقواله في الخواتيم والنِّهايَاتِ:

«مَنْ أحدث قبل السلام؛ بطل ما مضى مِنْ صلاته، ومَنْ أفطر قبل غروب الشمس؛ ذهب صيامه ضائعاً، ومَنْ أساء في آخر عمره؛ لقي ربه بذلك الوجه!».

«أغبى الناس مَنْ ضلَّ في آخر سفره؛ وقد قَارَبَ المنْزِلَ».

«فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة مَنِ استجاب لله والرسول ظاهراً وباطنا؛ فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان».

«وأشقى الخلق الذي لم تدركه رحمة الله التي وسعت كل شيء!».

«فإذا عزمت التوبة، وصحَّت، ونشأت مِنْ صَمِيمِ القلب؛ أحرقت ما مرَّت عليه مِن السيئات؛ حتى كأنها لم تكن، (فإنّ التائب مِنَ الذنب كمن لا ذنب له)».

من أقواله في الأسباب ونتائجها:

«أصل الخير والشر مِن قِبَلِ التفكُّر؛ فإن الفكر مبدأُ الإرادة والطلب في الأخذ والترك والحب والبغضِ».

«ومَن كان في خواطره ومجالات فكره دنيئاً خسيساً؛ لم يكن في سائر أمره إلا كذلك».

«معرفة مفاتيحِ الخيرِ والشَّرِّ لا يُوَفَّقُ لمعرفَتِه ومراعَاتِه إلاَّ مَنْ عَظُمَ حظُّه وتوفِيقُه؛ فإنَّ الله - سبحانه وتعالى - جَعَلَ لِكُلِّ خيرٍ وشرٍّ مِفتاحاً وباباً يُدْخَلُ مِنهُ إليه ... فينبغي للعبد أن يعتني كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح؛ وما جعلت المفاتيح له».

«محبوب اليوم؛ يعقب المكروه غداً، ومكروه اليوم؛ يعقب الراحة غداً».

«فمعرفة ما يفسد الأعمال في حال وقوعها، ويبطلها ويحبطها بعد وقوعها؛ مِن أهم ما ينبغي أن يفَتِّش عليه العبد، ويحرص على عمله، ويحذره».

«ومَنْ تدبَّر العالم والشرور الواقعة فيه؛ عَلِمَ أنّ كل شر في العالم فسببه مخالفة الرسول والخروج عن طاعته، وكل خير في العالم فإنما هو بسبب طاعة الرسول».

من أقواله في الصُّحبَة وآثارها:

«أنفع الناس لك رجل مكّنك من نفسه؛ حتى تزرع فيه خيراً أو تصنعَ إليه معروفا؛ فإنَّه نِعْمَ العُونُ لك على منفعتك وكمالك، فانتفاعك به في الحقيقة مثل انتفاعه بك أو أكثر».

«فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل؛ فلينظر: هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة؛ كان أمره فرطاً. - أي ضائعاً - !».

«فاقتضت حكمة الرب - سبحانه - أن جعل النوعَ الإنساني قائماً بعضُه ببَعضِهِ؛ مُعيناً بعضُه لبعضِهِ».

«فَما أضرّ على العبدِ من عُشَرائِه وأبنَاءِ جِنسه؛ فإنَّ نظرَهُ قاصِرٌ، وهمتّه واقفةٌ عِندَ التَّشبهِ بهم، ومُباهَاتِهم والسُّلوك أينَ سَلكوا، حتى لو دخلوا جُحر ضبٍّ لأحبَّ أنْ يدخل معهم !».

من أقواله المتفرقة:

«جمع النبي - صلى الله عليه وسلم - بين تقوى الله، وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه؛ فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته».

«مَنْ لم ينتفع بعينه لم ينتفع بأُذُنِه».

«مِنْ هداية الحمار - الذي هو أبلد الحيوانات - أن الرجل يسير به؛ ويأتي به إلى منزله من البعد في ليلة مظلمة فيعرف المنزل! فإذا خلى جاء اليه، ويفرّق بين الصوت الذي يُستَوقَفُ به والصوت الذي يُحثُّ به على السير! فمَنْ لم يعرف الطريق إلى منزله - وهو الجنة -؛ فهو أبلد من الحمار!».

«وبالجملة؛ فتأمّلْ آياتِ الله التي دعا عباده إلى التفكر فيها؛ وجعلها آيات دالة على كمال قدرته، وعلْمِه ومشيئته وحكمته وملكه، وعلى توحده بالربوبية والإلهية؛ ثم وازِنْ بينها وبينَ ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار، تجد هذه أدلَّ شيء على تلك، شاهدةً لها، وتجدُها من مشكاة واحدة، وربٍّ واحد وخالق واحد؛ فبعداً لقوم لا يؤمنون».

«وكذلك حال المنافقين؛ ذهب نور إيمانهم بالنفاق، وبقي في قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم، وقلوبُهم قد صليت بنارها بِحَرِّها وأذاها وسمومها ووهجها في الدنيا؛ فأصلاها الله - تعالى – إياها يوم القيامة ناراً موقدة تطّلع على الأفئدة».

[والحمد لله ربِّ العالمين]

